

تَأْصِيلُ عِلْمِي شَرْعِيٌّ بَعِيدٌ عَنِ الْعَاطِفَةِ

الحمد لله وبعد ؛

كما نعلم أن ربط أحداث الحادي عشر من سبتمبر ببعض الآيات القرآنية من العجائب التي ظهرت في هذا الزمان ، وكنت قد نشرت كلاما للشيخ خالد السبت بخصوص هذا ، و رابط الموضوع هو :

<http://www.saaid.net/Doat/Zugail/102.htm>

والرابط الصوتي هو :

<http://www.saaid.net/Doat/Zugail/100.htm>

والعجيب أن هذا الربط بين الآيات والأحداث لم يرجع فيه إلى أهل الاختصاص من العلماء وطلبة العلم ، بل اجتهادات العامة الذين لو قيل لأحدهم حال مرضه : اذهب إلى المهندس لكي يصف لك الدواء . لصاح في وجهك وقال : أتسخر بي؟! يجب أن أرجع في مرضي إلى الدكتور لأنه هو المختص بعلاج الأمراض .

ولكن العامة في مثل هذه الأمور لا يرجعون إلى أهل العلم حملة الشريعة . والله المستعان .

وإتماما لكلام الشيخ الدكتور خالد السبت في الروابط الآنفة ، وجدت كلاما للشيخ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض يتعلق

بمسألة الربط بين الأحداث وبين آيات القرآن لكي تتضح الصورة أكثر ، وكذلك إقامة الحجة ، وإبراء للذمة .
والنقل لكلام الشيخ الدكتور مساعد الطيار ليس مقتصرًا على الربط ، وإنما أضاف الشيخ كلامًا بخصوص " الإعجاز العددي " .

قال الشيخ الدكتور مساعد الطيار في كتابه " مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر " (ص 7 - 13 حاشية) عند قوله : " ومصطلح الإعجاز العلمي " :
لقد كتبت في هذا الموضوع رسالة أرجو أن يبسر الله أمرها ، وقد كنت أتحاشى الكتابة في هذا الموضوع لما فيه من كثرة المطروح ، وبعد أن قرأت في بعض هذه الكتب التي تتحدث عن الإعجاز العلمي ، ظهر لي أن الأمر يحتاج إلى إيضاح لهذا الموضوع ، وضبط لما يُفسَّر به القرآن من هذه القضايا التي أنتجها البحث التجريبي المعاصر ، وظهر لي أن في تسميته بهذا الاسم خللاً ، وأنه يصدق عليه أن يكون " دلائل صدق القرآن " ، وليس الإعجاز ، كما في نسبته إلى " العلمي " خللاً آخر ؛ لأنه يُفهم منه أن التفسيرات غيره ليست علمية ، مع ملاحظة أن هذه التسمية فيها آثار التغريب الذي يجعل العلوم الدنيوية توسم بالعلم ، وغيرها من العلوم الأدبية والاجتماعية والشرعية على وجه الخصوص لا توسم بذلك ، والموضوع ذو شجون ، وإنما أشرت إليه هنا لأخلص إلى سؤالين طرَّحا عليَّ بشأن مسألتين متعلقتين بما يُسمى الإعجاز :

السؤال الأول : فيما ظهر لبعض الناس من توافق عددي بين ما حصل من الحدث العظيم الذي عاقب الله به الكفار ف (11 : 9 : 2001) مع آية في سورة التوبة ، فقد ظهر لذلك القارئ أن الآية العاشرة بعد المائة (110) تشير إلى أحد البرجين الذي تتكون طوابقه من هذا العدد ، وأن عدد السورة في ترتيب المصحف هي التاسعة تشير إلى الشهر الميلادي ، وأن الجزء الذي فيه هذه الآية هو الحادي عشر تشير إلى اليوم الذي وقع فيه هذا الحدث ، فزعم أن هذا من إعجاز القرآن ؛ لأنه - بزعمه - أشار إلى هذا الحدث المستقبلي ! .

ولا أدري لِمَ لَمْ ينظر إلى العدِّ بالحساب القمري ، ولا ذكر البرج الثاني الذي لا يتوافق مع العدد الذي ظهر له؟! .

وهذا بلا شك موافقة إلى غير مقصودة ، والآية نازلة في مسجد الضرار ، وليس هنا علاقة بينها وبين ما حدث لا من قريب ولا من بعيد ، ومن قال : إن هذا البرج من مباني الضرار ، فأين موقع الآخر من الآية ، وإذا كان يعد هذين البرجين من مباني الضرار ، قياسا على مسجد الضرار ، فإنه يدخل في الآية كل مباني الضرار التي يعملون بها ضد العالم ، وضد المسلمين بالذات .

ثم ما الحاجة الداعية إلى هذا الربط الغريب العجيب ،

ومن ذا الذي يجزم بأن هذا مراد الله . إن هذا مما يحل في الرأي المذموم ؛ لأنه قول على الله بغير علم ، ما أكثر ما يقع من أصحاب ما يسمى بالإعجاز العلمي ، أو التفسير العلمي .

وهل يعتمد صاحب هذا القول على أن هذا الترتيب جاء بالتوفيق ، أم يرى أنه على ما جاء من مصادفة الترتيب هذه .

فإن كان جاء مصادفة ، فما أكثر المصادفات التي يمكن أن تظهر لك ، فقد تظهر لك مصادفات متعلقة بالأرقام وأت تقرأ كتاب تاريخ ، أو غيره ، فهل هذه المصادفات من قبيل الأعجاز؟! .

وإن كان يزعم أن هذا مراد ، وأنه ليس من قبيل المصادفة ، فقله منقوض بأمور :
الأول : أن ترتيب الأجزاء من عمل المتأخرين ، وليس فيه توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو عمل اجتهادي .

الثاني : أن في ترتيب السور قولين : قيل : إنه اجتهادي ، وقيل : إنه توقيفي ، ولعل من ظهر له ذها التوافق العجيب لا يعلم بهذا ، وإن علم فهل حرر مسألة التوقيف والاجتهاد في ترتيب السور ليجعل ما توصل إليه من هذا التوافق صحيحا .

الثالث : هل يعلم قائل هذا القول علما يسمى " علم عدُّ الآي " وهل يعلم أنه مختلف في عدد آي السورة على قولين : الجمهور على أنها مائة وثلاثون آية ، وفي العد الكوفي الذي عليه عدُّ المصحف الذي بين يديك عدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية . وعلى قول الجمهور ينتقص عدد الآية ؛ لأنه يكون عددها على قولهم آية 111 ، فهل دري بهذا ، وحرر هذه المسألة ؟ .

وكأنني بك القريء الكريم تقول : قد أطالت في هذا ، وهو مما لا يحتاج إلى إطالة في بطلانه ، فأقول لك معذرا : إن عصرك عصر يسود فيه من يأتي بالغرائب ، ويبرز فيه من يحسن جلبها ن فأحببت أن أرد من يتعرض لكتاب الله بما لا يقبله عقل العقلاء ؟ ولكي يعلم أن العلم له باب من أراده من غير بابه خرج بما لا تقبله العقول ، وجاء بما لا ينطلي إلا على قلوب الأغرار ، ولو كانوا يُعدون عند الناس من الكبار .

وإني أخبرك بأنك لست بحاجة للإثبات عظمة القرآن وصدقه إلى هذا السبيل ، وهو ما يسمى بالإعجاز ، إذ أنه ليس هو السبيل الوحيد لإثبات عظمة هذا القرآن ، بل هو أحد هذه السبل ، واعلم أن العلم وحده قد لا يكفي ما لم يكن له قوة تحميه ، وإن الله لينزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن ، فافهم عني ما قلت ، والله الموفق إلى سواء السبيل .

السؤال الثاني : قال السائل سمعت في شريط الإعجاز العلمي للدكتور زغلول النجار حديثه عن ما يتعلق بقوله تعالى : **وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** [حديد : 25] وكان مما قاله في هذا ما نصه : **" كنت ألقى هذه المحاضرة في جامعة ملبورن في أستراليا من أربع سنوات ، فوقف لي أستاذ كيمياء في الجامعة ، وقال لي : ياسيدي ، هل حاولت أن تقارن بين رقم سورة الحديد في القرآن الكريم والوزن الذري للحديد ، ورقم الآية في السورة والعدد الذري للحديد ؟ .**

قلت له لا ، موضوع الأرقام موضوع حرج للغاية ، إذا لم يدخله الإنسان بحذر شديد يدمر نفسه .

قال : ارجوك ، حينما تعود إلى بلدك أن تتحقق من هذه القضية ...

أتيت بالمصحف الشريف ، وبالجدول الدوري للعناصر ، وكتاب في الكيمياء غير العضوية ، فأذهلني أن رقم سورة الحديد سبع وخمسون ، والحديد له ثلاث نظائر (54 ، 56 ، 57) ورقم الآية في السورة (25) ، والعدد الذري للحديد (26) ، فقلت : إن هذا القرب الشديد لا بد أن له تفسيراً ، فألهمني ربي آية قرآنية مبهرة ، يقول فيها الحق تبارك وتعالى مخاطباً هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ... **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ**

الْعَظِيمَ " [الحجر : 87] ، فالقرآن بنصه يفصل الفاتحة عن بقية بنصه يفصل الفاتحة عن بقية القرآن الكريم ، ويعتبر الفاتحة مقدمة للقرآن ، فقلت : إذا فصلنا الفاتحة عن بقية سور القرآن الكريم يصبح رقم سورة الحديد (56) ، ولو بقيت (57) ، ففيه نظير للحديد (57) ، لكن أكثر النظائر انتشارا للحديد (56) .

الآية رقم (25) ، والعدد الذري للحديد (26) ، ووجدت القرآن الكريم يصف الفاتحة بأنها سبع من المثاني ، وآياتها ستُّ ، فالبسمة آية من الفاتحة وآية من كل سورة قرآنية ذكرت فيها البسمة ما عدا سورة التوبة ، فإذا أضفنا البسمة في مطلع سورة الحديد يصبح رقم الآية (26) ، ويعجب الإنسان إلى هذه اللفظة المبهرة ، من الذي علّم المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك قبل ألف واربعمئة سنة ، لم يكن أحد يعلم شيئا عن الأوزان الذرية ، ولا لأعدادها الذرية ، ولكن هذه معجزة هذا الكتاب الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذه الومضات القرآنية المبهرة تبقى دائما شهادة صدق على أن القرآن كلام الله ، وأن هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم كان موصولا بالوحي " (محاضرة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، للدكتور زغلول النجار ، تسجيلات أحد) .

ولا أرى أنه يخفى على العامي قبل المتعلم ذلك التكلف الذي قام به الدكتور الفاضل لإثبات قضية لا شأن لها

في ذاتها ، فضلا عن أن تكون معجزة من معجزات القرآن ، ولا يخفى على طالب العلم ما وقع له في تفسير الآية ، ولا أدري هل يعرف الدكتور الفاضل التفسير النبوي لهذه الآية؟! فالوارد عنه صلى الله عليه وسلم يجعل السبع المثاني والقرآن العظيم وصفين للفتحة ، والعطف هنا من باب عطف الصفات لا عطف الذوات ، فقد روى البخاري وغيره جملة من الأحاديث في هذا المعنى ، ومنها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ : السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ .

رواه البخاري برقم (4704) ، وقال ابن كثير معلقا على هذه الروايات : " فهذا نص في أن الفتحة السبع المثاني والقرآن العظيم " . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، تحقيق : سامي السلامة (1:547) ، وما دام ثبت النص عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، فإن غيره من الأقوال تسقط ، ويكون تفسير الآية ما قاله صلى الله عليه وسلم .

كما لا يخفى ما وقع منه في جزمه بأن البسمة آية من كل سورة ، بلا تحقيق في هذه المسائل ، ولا رجوع إلى أهل العلم الذين يُعرفُ كلامهم فيها ، بل اختار ما يناسب ما يريد أن يذهب إليه ، وهو معرض عن ما لا

يناسبه ، بلا تحقيق علمي^٤ ، كما عوده البحث في العلوم
التجريبية ، وهل يصح هذا الاختيار بلا تحقيق ؟!

وكذلك لا يسعفه علم عدّ الآي فعدد آيات السورة في
العدّ الكوفي والبصري (29) ، وفي عد الباقيين (28) ؛ وبهذا
تكون الآية (24) بدلا من أن تكون (25) ، ولو جعل البسمله
آية على هذا القول ، لصارت الآية (25) ولا نتقص ما بناه
أيضا .

وكل هذا التكلف في محاولة ربط مثل هذه القضايا
بالقرآن إنما يصدر ممن يأتي إلى القرآن بمقررات
سابقة ويريد أن يطوِّع القرآن لمقرراته ، ضاربا بكل ما
خالفها عُرض الحائط ، ولو كان ما خالف قوله هو العلم
الصحيح ، وفي هذه المحاضرة في الإعجاز العلمي
أخطاء أخرى ليس هذا محل عرضها .

(ينظر في ما ذكر من عد الآي : كتاب البيان في عدّ آي
القرآن ، للداني ، تحقيق : الدكتور غانم قدوري
الحمد) .ا.هـ.

وبعد نقل كلام الشيخ الدكتور مساعد الطيار - جزاه الله
خيرا - أعلم أن بعض القراء للمقال لن يعجبه هذا الرد
لأن فكره قد رسخ فيه مسألة الإعجاز العلمي والعددي ،
وأن هذه المسائل من الجبال الرواسي ، ولكني أقول :
شيء من التجرد للحق ، وسبر كلام أهل العلم الذين

يجعلون نصوص الكتاب والسنة نصب أعينهم ، وليس
دغدغة العواطف .

رابط الموضوع

<http://alsaha.fares.net/sahat?14@2.EtpncjlrQvq^0@.ef3aaf3>

كتبه عَبْدُ اللَّهِ زُقَيْل
zugailam@yahoo.com